لمزيد من الكتب والأبحاث زوروا موقعنا مكتبة فلسطين للكتب المصورة
https://palstinebooks.blogspot.com

المركز الفلسطيني
للتواصل الحضاري

الاعتقاد

تصنيف

شيخ الإسلام موفق الدين عبد الله بن أحمد
بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي
(541 ـ 620هـ)

1427هـ ـ 2006م

هذا الكتاب

يأتي هذا الكتاب مساهمة ثقافية من المركز الفلسطيني للتواصل الحضاري لنشر التراث العلمي لأئمتنا الأعلام، ومنهم صاحب هذا الكتاب: شيخ الاسلام موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي (541_620هـ) وهو بعنوان "الاعتقاد" قام فيه المؤلف بعرض للعقيدة الإسلامية بإسلوب مبسط وواضح، امتاز بالسهولة والسلاسة، ابتدأ بذكر صفات الله تعالى وأكد على ضرورة ترك التعرض لها بالتأويل أو التشبيه والتمثيل، وقد استعرض بعضاً من صفات الله بالشرح وذكر أقوال العلماء في ذلك.

كما ذكر المؤلف مسائل في الاعتقاد مثل: رؤية المؤمنين لربهم في الأخرة، وأن الإيمان قول باللسان وعمل بالأركان، ووجوب الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ وصح به النقل عنه، وأن محمداً رسول الله خاتم النبيين، لا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته ويشهد بنبوته.

وقد أورد المؤلف في مصنفه ما جاء في فضل أبي بكر الصديق والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وأن من السنة أن نشهد بالجنة لمن شهد لهم النبي ﷺ بالجنة، وأن نتولى أصحاب رسوا الله ﷺ وضرورة محبتهم وذكر محاسنهم والترحم عليهم والاستغفار لهم والكف عن ذكر مساويهم وما شجر بينهم واعتقاد فضلهم ومعرفة سابقتهم. وأوضح المؤلف أن من السنة الترضي عن أزواج رسول الله ﷺ أمهات المسلمين المطهرات المُبرّآت من كل سوء.

كما بيّن المؤلف ضرورة هجران أهل البدع ومباينتهم، وترك الجدال والخصومات في الدين. وأكد على أن الانتساب إلى إمام في فروع الدين كالمذاهب الأربع ليس بمذموم وليس هو المقصود بالجدال والخصومات، إذ أن الاختلاف في الفروع رحمة والاتفاق حجة قاطعة.

فهذا الكتاب كما ترى هو مختصر في الاعتقادات التي يجب على الإنسان المسلم الإيمان بها وعدم إنكارها، وهو كتاب مبسط في هذه المسائل دون تعقيدات المتكلمين. يناسب كل مستويات الأفهام في المجتمع المسلم، وشبابنا اليوم في أمس الحاجة إلى فهم أمور دينهم بلغة بسيطة مفهومة.

نسأل الله تعالى أن ينفعنا وإياكم بقراءته، وتمثل ما فيه لما في ذلك من فوائد عظيمة...

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المركز الفلسطيني للتواصل الحضاري

المركز الفلسطيني
للتواصل الحضاري

The Palestinian Centre
for the Civic Perseverance

مؤسسة ثقافية، خاصة، مستقلة، لا تهدف للربح، تعمل في فلسطين

تنطلق فكرة المركز من ضرورة وأهمية التواصل بين الأجيال المتتابعة، وإشادة الخلف بجهد السلف الصالح، دون غمط لحق أو إهدار لإضافة. وأنه لا يمكن فصل الحاضر عن الماضي، فالحاضر ابن الماضي، ومن لا ماضي له فلا حاضر ولا مستقبل له. ويؤمن المركز بضرورة حسن التعاون بين أبناء الجيل الواحد، وبين الأجيال المعاصرة، على أساس من الإخاء العلمي، الذي يرتفع بنا إلى مستوى تتحدد فيه المسئولية نحو قضايانا المجتمعية، وسبل نهضة أمتنا. ونسأل الله تعالي أن يجعل هذا الجهد العلمي، متواكباً مع جهاد شعبنا وأمتنا من أجل استرداد مقدساتنا وأرضنا السليبة.

ويسعى المركز إلى تحقيق الأهداف التالية:

- إثراء الوعي العام، وتعزيز الانتماء للأمة، وتاريخها، وتراثها الأصيل.
- الجمع بين الأصالة والتجديد المعاصرة.
- إبراز الوجه الحضاري لتاريخنا وتراثنا المتواصل عبر الأجيال المتعاقبة.
- إحياء التراث النافع، وإشاعة القدوة الإيجابية، وترسم خطا السلف الصالح.
- إبراز الشخصيات الوطنية والإسلامية المتتابعة عبر تاريخنا الفلسطيني.
- المساهمة في تنمية الإبداع الفكري والثقافي في المجالات المتعددة.
- التفاعل مع القضايا المجتمعية بما يخدم مسيرة شعبنا نحو التحرر والبناء.

وذلك من خلال وسائل متعددة، ومنها:

- تأليف وتحرير ونشر الكتب والتقارير التي تخدم أهداف المركز.
- عقد وتنظيم الندوات والمؤتمرات المتخصصة في الموضوعات والمناسبات مجال اهتمام المركز.
- جمع الوثائق والمعلومات التي توفر مصدراً توثيقياً للباحثين حول القضايا محل اهتمام المركز.
- إحياء كتب التراث النافعة.
- تنظيم دورات تدريبية للباحثين والدارسين في المجالات المتعددة.
- التعاون مع المؤسسات العلمية ومراكز الأبحاث ودور النشر.
- إقامة العلاقات مع المؤسسات الأهلية والرسمية في الداخل والخارج بما يحقق أهداف المركز.

المركز الفلسطيني
للتواصل الحضاري

الاعتقاد

تصنيف

شيخ الإسلام موفق الدين عبد الله بن أحمد
بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي
(541 ـ 620هـ)

1427هـ ـ 2006م

الكتاب: سلسلة التراث الإسلامي (1)

الاعتقاد

تصنيف: شيخ الإسلام موفق الدين عبد الله بن أحمد

بن محمد بن قدامة الجمّاعيلي المقدسي

(541 – 620 هـ) / (1156-1223م)

الناشر: المركز الفلسطيني للتواصل الحضاري

غزة – فلسطين

الطبعة: طبعة خاصة نقلاً عن طبعة مجلة الأزهر المصرية

سنة النشر: 1427 هـ/ 2006م

حقوق الطبع والنشر محفوظة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾

[التوبة: 100]

﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

[الحشر: 10]

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدى الكتاب

العقيدة الصحيحة هي الأساس الذي يقوم عليه الدين وتصح معه الأعمال كما قال تعالى:

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدا﴾ [الكهف: 110]

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: 65]

وقال تعالى: ﴿فاعبد الله مخلصاً له الدين * ألا لله الدين الخالص﴾ [الزمر: 2 – 3].

وهذا الكتاب مختصر في الاعتقادات التي يجب على المسلم الإيمان بها وعدم إنكارها، وهو من المؤلفات والتصانيف البسيطة في المجال، وقد قسم المصنف كتابه إلى عدة فصول، أجمل فيها العديد من مسائل الاعتقادات.

وهو من تصنيف **شيخ الإسلام الإمام موفق الدين بن قدامة الجماعيلي المقدسي**، من فقهاء الحنابلة الأعلام، ومن أبناء فلسطين النابغين، وينتمي إلى أبرز العائلات العلمية في فلسطين إبان الحروب الصليبية والتي عاصرها، كما عاصر العصر الأيوبي وانتصار السلطان صلاح الدين الأيوبي على الفرنجة وتحريره لبيت المقدس.

ويأتي هذا الكتاب تحقيقاً لأهداف المركز الفلسطيني للتواصل الحضاري والتي من ضمنها:

1. إحياء التراث النافع، وإشاعة القدوة الحسنة، وترسم خطا السلف الصالح.
2. إبراز الشخصيات الوطنية والإسلامية المتتابعة عبر تاريخنا الفلسطيني.

طبعات الكتاب

وقد طبعت الطبعة الأولى لهذا الكتاب في مصر. وقامت بطبعه المطبعة المنيرية سنة 1347هـ – 1948م بعنوان:

"لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد".

أما الطبعة الثانية فصدرت عن مجلة الأزهر في ربيع الآخر 1407هـ، وقام الأستاذ أحمد حسن جابر بتقديم الكتاب وعرض فيه ترجمة للمصنف تم نشرها في هذه الطبعة مع إضافات هامة عليها، ووضع عنواناً آخر للكتاب هو: "**الاعتقاد**"، وهو العنوان الذي عَثر عليه في مؤلفات شيخ الإسلام الإمام موفق الدين بن قدامة الجماعيلي المقدسي.

واليوم، وسعياً من **المركز الفلسطيني للتواصل الحضاري** لإحياء كتب التراث الإسلامي النافعة تحقيقاً للتواصل الحضاري بين الأجيال المتعاقبة، وحاجة شبابنا للتعرف على أصول دينهم بلغة بسيطة ومفهومة، دون تعقيدات وفلسفات المتكلمين، ودون تبسيط المتفيقهين، وتجاوزاً لضيقي العقول

المتمسكين بحرفية النصوص، والذين ينصبون من أنفسهم مجتهدين وهم فاقدين لأدوات الاجتهاد وشروطه، فيسقطون تلك النصوص خطئاً على واقعهم المختلف عن الواقع الذي كتبت فيه تلك النصوص. وكل ذلك دون وعي بمدلولات الألفاظ ومعانيها والتي أفاض فيها العلماء الأعلام شرحاً وتوضيحاً.

وقد بذلنا جهدنا في هذا الإصدار لإخراج الكتاب في أجمل صورة، فقمنا بتخريج آياته وأحاديثه، مع وضع عنوان لكل فصل من فصوله، كما قد أضفنا على طبعة مجلة الأزهر المصرية نبذة مختصرة عن العصر الذي عاش فيه المصنف، ودور عائلته "آل قدامه" في نصرة الدين والحركة العلمية في عهد الإحتلال الصليبي، إضافة إلى أبرز العلوم وحركة التأليف في عصره، مع ذكر تعريف مفصل لبعض كتبه ومزيد من الإيضاحات والإضافات على ترجمة المؤلف والتي أوردها "الأستاذ/ أحمد حسن رجب" في مقدمة طبعة مجلة الأزهر.

وبعد، فإننا ننشر هذا الكتاب في طبعة فريدة: مزيدة ومنقحة، عسى الله أن ينفع به شبابنا، وأن يكتب لنا الأجر والثواب.

ترجمة المؤلف

شيط الإسلام: موفق الدين بن قدامة

هو عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر بن عبد الله المقدسي ثم الدمشقي الصالحي، الفقيه الزاهد الإمام شيخ الإسلام وأحد الأعلام موفق الدين أبو محمد الجمّاعيلي (541– 620هـ) الموافق (1146– 1223م).

نشأته وشيوخه..

ولد في شعبان سنة 541هـ/1146م بقرية جمّاعيل[1] الفلسطينية، نشأ في أسرة علم مجاهدة، عرفت بنشر الحديث والفقه الحنبلي، وعملت في ميدان الحرب ضد الصليبيين، وقَدِمَ دمشق وله عشر سنين، مع أهل بيته وأقاربه[2]، ومنهم أخيه الشيخ أبي عمر سنة إحدى وخمسين وخمسمائة، ولزم الاشتغال بالعلم منذ نعومة أظفاره، فقرأ القرآن وحفظه، وحفظ مختصر الخِرَقي[3]،

---

[1] – قرية جماعيل أوجماعين من قرى أرض نابلس وقرب القدس بفلسطين، ويضم قضاء جماعيل 49 قرية وناحية، وقد بلغ عدد سكان قضاء جماعين في أول إحصاء رسمي عثماني سنة 1893م 21283 نسمة.

[2] – اضطر كثير من الفلسطينيين إبان الغزو الصليبي للأرض المقدسة إلى الهجرة والهرب من فلسطين تجاه دمشق، ومنهم العديد من سكان قضاء جماعين الذين استقروا في دمشق. وكان أول المهاجرين إلى دمشق الشيخ أحمد بن قدامة والد الشيخ الموفق عبد الله صاحب المغني ومؤلف هذا الكتاب. وقد وضع محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن السعدي المقدسي الجمّاعيلي، ضياء الدين الملقب بالحافظ الكبير كتاباً أسماه "سبب هجرة المقادسة (إلى دمشق) يحكي فيه قصة التحرك من قريتهم جمّاعيل من أرض نابلس، وقرب القدس، بسبب الإحتلال الصليبي للأرض المقدسة، ومن ثم استقرارهم في دمشق وبناء حي الصالحية.

[3] – مختصر الخرقي في فروع الحنبلية، لعمر بن حسين الخرقي المتوفي 334هـ/946م

واشتغل وسمع من والده، وأبي المكارم بن هلال، وأبي المعالي بن صابر وغيرهما وتنقل في مختلف حواضر العلم في عصره، فرحل إلى بغداد والموصل ومكة ودمشق يدرس على علماء عصره[1]. ورافقه إلى بغداد ابن خالته الحافظ عبد الغني سنة 561 هـ، وسمعا الكثير من هبة الله الدقاق وابن البطي، وسعد الله الدجاجي، والشيخ عبد القادر الجيلاني وابن تاج القراء. وابن شافع وأبي زرعه، ويحيى بن ثابت وخلق كثير، وسمع بمكة من المبارك بن الطباخ مدة يسيرة، فقرأ عليه متن الخرقي. ثم توفي الشيخ ولازم أبا الفتح بن المنّى. وقرأ عليه المذهب والخلاف والأصول حتى برع [وفاق على الاقران] وانتهى إلى معرفة المذهب وأصوله، وكان مع تبحره في العلوم وتفننه ورعاً زاهداً ربانياً عليه هيبة ووقارٌ، وفيه حلم وتؤدة. وأوقاته مستغرقةٌ للعلم والعمل، وكان يفحم الخصوم بالحجج والبراهين، ولا يتحرج ولا ينزعج، وخصمه يصيح ويحترق[2]. وأقام ببغداد نحواً من أربع سنين هذا ذكره الحافظ ضياء الدين المقدسي، ثم رجع إلى دمشق ثم عاد إلى بغداد سنة سبع وستين وخمسمائة كما قال سبط بن الجوزي.

ومع أن شهرته تعود لاشتغاله بالفقه وخاصة الفقه الحنبلي، فإنه لا يهمل العلوم الأخرى. فقد كان إماماً في النجوم السيارة والمنازل[3].

---

[1] – صالحة، محمد عيسى: "**الرياضيات في فلسطين**"، في: الموسوعة الفلسطينية–القسم الثاني/ الدراسات الخاصة، بيروت، هيئة الموسوعة الفلسطينية، ط 1، م 3، 1990، ص413.

[2] – الحافظ الذهبي، [748هـ – 1347م]، "**العبر في خَبَر منْ غَبَرَ**"، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج3، ص 181/180.

[3] – تعتبر إنجازات علماء فلسطين الفلكية محدودة حتى العصر الايوبي، حيث اقتصرت على المعرفة في تسيير أمور الحياة الدينية واليومية. وكان موفق الدين ممن لهم اهتماماً بعلم الهيئة والنجوم.

أحوال عصره

انعدام الأمن أثناء الغزو الصليبي للأرض المقدسة:

وإبان الغزو الصليبي لفلسطين وما مارسوه من وحشية ضد الأهالي أدرك الأهالي أن هذه الهجمة هي هجمة دموية "كافرة" لا سبيل إلى التعايش معها أبداً، لكن الرفض للفرنجة لم يأخذ الشكل الجماعي إلا في فترات محدودة، وقد تجلت المقاومة على الدوام على الشكل الفردي: الكُره لـ"الكافر" الفرنجي المحتل، قطع الطرق على الحجاج المسيحيين والعابرين من الفرنج وقتلهم، ومهاجمة الأشخاص الفرنج، وكل ذلك بمبادرات فردية غير منظمة، وكان ذلك أقصى أشكال المقاومة في مثل أوضاع الناس في ذلك الزمن. على أن هؤلاء الريفيين المسلمين الذين يمارسون مقاومتهم على طريقتهم الفردية في فلسطين كانوا يضطرون أحياناً كثيرة إلى الهجرة عند العجز. والهجرة تعني الهرب؛ لأن الإقطاعي الفرنجي كان بحاجة إلى جهودهم الزراعية[1].

جهاد آل قدامة في مواجهة الاحتلال الصليبي:

كان محمد بن قدامة وابنه أحمد، ثم حفيده محمد أبو عمر، خطباء "جمّاعين" في عهد الاحتلال الصليبيين، وقد عاشوا مع فلاّحي الريف في إقطاع الأمراء الفرنجة. وتمثلت مقاومة آل قدامة في الإغراق بالتمسك

---

[1] – مصطفى، شاكر: "فلسطين ما بين العهدين الفاطمي والأيوبي"، في: الموسوعة الفلسطينية–القسم الثاني/ الدراسات الخاصة، بيروت، هيئة الموسوعة الفلسطينية، ط 1، م 2، 1990، ص 380.

بالدين. وكان أبناء القرى يجتمعون إليهم من عدة قرى لإقامة صلاة الجمعة حوالي سنة 550هـ/1155م. في قرية جمّاعيل وما حولها قرب نابلس، يجتمعون إليهم في خطبة الجمعة. وحين تنبّه الصليبيون إلى نشاط الشيخ أحمد اتهموه بإشغال الفلاحين عن العمل، ثم لما عزموا على قتله اتفق مع بعض أهله سراً على الهرب لخوفهم على أنفسهم، وعجزهم عن إظهار دينهم. فهرب هو وأبناؤه إلى دمشق سنة 551هـ/1156م[1]. "واختفوا من أهل القرية لئلا يعلموا بسفرهم" وقد أرادوا منعهم فلم يقدروا وقعد لهم عسكر الفرنج على نهر الشريعة ليأخذوهم فكانوا يمشون في الليل ويقيمون في النهار من الخوف. وكان على الطرق كثير من الحرامية. واقتضاهم الطريق ثمانية أيام حتى وصلوا دمشق، واستقروا أولاً في مسجد أبي صالح، ثم ارتادوا مكاناً آخر في سفح جبل قاسيون دعي بالصالحية. ثم تلاحق الهاربين وراءهم حتى تشكلت منهم جالية مقدسية أنشأت في دمشق "حي الصالحية" منذ أواسط القرن السادس الهجري. وكان لها دورها الديني والفكري الكبير في تاريخها[2].

---

[1] – العسلي، كامل: **"الفكر الديني: العلوم الإسلامية في فلسطين"**، في: الموسوعة الفلسطينية–القسم الثاني/ الدراسات الخاصة، بيروت، هيئة الموسوعة الفلسطينية، ط 1، م 3، 1990، ص 460.

[2] – مصطفى، شاكر: **"فلسطين ما بين العهدين الفاطمي والايوبي"**، مرجع سابق، ص 381.

الحركة العلمية في عهد الاحتلال الصليبي:

نكبت فلسطين سنة 492هـ/1099م بالاحتلال الصليبي فخمدت الحركة العلمية فيها على الفور. وقد قتل الصليبيون لدى احتلاهم القدس "جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبّادهم وزهّادهم ممن فارق الأوطان وجاور بذلك الموضع الشريف". كما تشتت علماء آخرون وفروا من البلاد، وأغلقت معاهد العلم وحول كثير من المساجد، وعلى رأسها مسجد قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى، إلى كنائس. ولا مجال في هذه الظروف للحديث عن حركة علمية عامة[1].

آل قدامة والحركة العلمية في عهد الاحتلال الصليبي:

ومع ذلك فإنه لا يفوتنا أن نلاحظ تطوراً يلفت النظر في منطقة نابلس، لا سيما في قرية جمّاعين (جماعيل) بالذات حيث نشأت حركة دينية علمية تحدت الاحتلال الصليبي وحمل لواءها علماء الحنابلة وفي طليعتهم آل قدامة. ويبدو أن جدّ هذه الأسرة "قدامة" أو ابنه "محمد" الِتَقَى بـ"أبي الفرج عبد الواحد الشيرازي"، والمتوفى سنة 486هـ/1093م، الذي نشر مَذْهَب الحنابلة في الديار الفلسطينية[2].

---

[1] – العسلي، كامل: **"الفكر الديني: العلوم الإسلامية في فلسطين"**، مرجع سابق، ص 460.

[2] – العسلي، كامل: **"الفكر الديني: العلوم الإسلامية في فلسطين"**، المرجع السابق، ص 460.

آل قدامة من أبرز العائلات العلمية في فلسطين:

برز في تلك الفترة ظاهرة هامة، وهي انتشار العائلات العلمية التي كان يتوارث أبناؤها العلم من فقه وغيره. ومن العائلات التي اشتهرت بالفقه بصورة خاصة عائلات بني جماعة وبني أبي اللطف والديري والقلقشندي في القدس. **وبني قدامة في جبل نابلس**، والجعبري في مدينة الخليل، والغزي في غزة ودمشق. وقد أنجب الريف النابلسي عدداً كبيراً من كبار العلماء بين القرنيين السادس والتاسع، وهي ظاهرة تلفت النظر بضخامتها.

ومن أشهر القرى التي أبرزت علماء ومشاهير: "**جمّاعين**" **التي خرج منها العلماء من بني قدامة** الذين هاجروا إلى دمشق ابتداء من سنة 551هـ/1156م[1].

وفي الصالحية بنوا داراً دعيت دار الحنابلة. وفي هذا المكان تطورت نهضة علمية واستمرت عدة قرون. وكان منطلق هذه النهضة العلمية مدرسة بناها أبو عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة ودار نشاطها في المقام الأول على الفقه الحنبلي والحديث. وبعد آل قدامة انتقل من نابلس كثير من أقربائهم وأنسابهم دعوا بالمقادسة منهم آل عبد الهادي وبنو سرور وبنو عبد الواحد. ونبغ من هؤلاء جميعاً في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي وما بعده رهط كبير من العلماء كلهم حنابلة وكلهم اشتغلوا في الفقه الحنبلي والحديث وطارت شهرتهم في كل مكان[2].

---

[1] – العسلي، كامل: "**الفكر الديني: العلوم الإسلامية في فلسطين**"، مرجع سابق، ص 460

[2] – العسلي، كامل: "**الفكر الديني: العلوم الإسلامية في فلسطين**"، المرجع السابق، ص 460

أبرز علوم عصره

علم الفقه:

كان علم الفقه، في الحقبة الأيوبية – المملوكية أوسع العلوم انتشاراً في فلسطين. فقد كان هذا العلم مطلوباً أكثر من سواه من العلوم الدينية لتلبية الحاجات اليومية للمجتمع. وكان هو المعول عليه في القضاء وفي الإفتاء والتعيين للوظائف الدينية الكثيرة كالإمامة والخطابة والوعظ والتدريس في المساجد، وكذلك لوظائف التدريس في المدارس في العالم الإسلامي[1].

ومن الملاحظات على تلك الفترة رغم الاهتمام الكبير بعلم الفقه:

- أن علماء هذا العصر وفقهاؤه بذلوا جهوداً كبيرة في دراسة منابع الفقه، واجتهدوا ودققوا فيما كتبه أئمته وشيوخه وجمعوا في ذلك مادة مذهلة وكتبوا فصولاً مفيدة، ولكن مساهمتهم كانت في أكثر الأحيان محصورة في **تقديم المادة القديمة في ثوب جديد**. وذلك ظاهر في المؤلفات الفقهية التي كانت تتألف غالباً من شروح وتعليقات على كتب الفقه الأمهات والتفتيش الدقيق فيها وإعادة تبويبها وصياغتها. وكانت هذه ظاهرة عامة انتظمت فقهاء الدولة المملوكية لا فقهاء فلسطين وحدها، في وقت سُدّ فيه باب الاجتهاد وشاع فيه إتّباع الأقدمين وتقليدهم.
- **هجرة العلماء:** فقد كثرت في فلسطين في هذه الفترة هجرة العلماء من المدن، مما يفسر الأعداد الكبيرة من الفقهاء الفلسطينيين المتميزين

[1] – العسلي، كامل: **"الفكر الديني: العلوم الإسلامية في فلسطين"**، المرجع السابق، ص 467

الذين ظهروا في دمشق ومصر حيث كانت فرص التقدم العلمي أوسع والبيئة العلمية أغنى.

- **وثالث** هذه الملاحظات هي انتشار ظاهرة العائلات العلمية والتي سبق الحديث عنها[1].

ثناء العلماء عليه

وُصف موفق الدين بن قدامة المقدسي صاحب كتاب المغني بأنه "عالم أهل الشام في زمانه" و"أوحد في الفرائض[2]"، و"إمام في النحو والحساب والأنجم السيارة والمنازل"[3].

وتأكيداً على ذلك نذكر هنا ما جاء على لسان العلماء والمؤرخين من تقريظ له وثناء عليه:

فقد قرّظه **أبو عبد الله اليونيني** بقوله: "أما ما علمته من أحوال شيخنا وسيدنا موفق الدين فإنني إلى الآن، ما اعتقد أن شخصاً مما رأيته حصل له من الكمال في العلوم والصفات الحميدة التي يحصل بها الكمال سواه، فإنه كان كاملاً في صورته ومعناه من حيث الحسن والإحسان والسؤدد والعلوم المختلفة والأخلاق الجميلة"[4].

---

[1] – العسلي، كامل: **"الفكر الديني: العلوم الإسلامية في فلسطين"**، المرجع السابق، ص 467

[2] – **علم الفرائض:** هو علم يتعرف منه على قوانين بحساب الفرائض المختصة بقسم التركة. وتلك مسألة مهمة اجتماعياً؛ لأن في عدالتها استقراراً للمجتمع ولذا فإن الفقهاء أولوا هذا الجانب عناية خاصة، وكان الحاسب في ذلك الزمن هو الفرائضي. ويقتصر الاهتمام بعلم الفرائض على تعليمه للدارسين ليس إلا. [صالحة، محمد عيسى: **"الرياضيات في فلسطين"**، مرجع سابق، ص 412].

[3] – صالحة، محمد عيسى: **"الرياضيات في فلسطين"**، مرجع سابق، ص 413

[4] – صالحة، محمد عيسى: **"الرياضيات في فلسطين"**، المرجع سابق، ص413.

ذكر **الناصح الحنبلي**: أنه حج سنة 574هـ، ورجع مع وفد العراق إلى بغداد، وأقام بها سنة فسمع درس ابن المنى الحنبلي قال ابن الناصح: وكنت أنا قد دخلت بغداد سنة 572 هـ، واشتغلنا جميعاً على الشيخ أبي الفتح، ثم رجع إلى دمشق واشتغل بتصنيف كتاب "المغني في شرح الخرقي" فبلغ الأمل في اتمامه. وهو كتاب بليغ في المذهب، عشرة مجلدات بخطه أجاد فيه وأجمل فيه المذهب، وقرأ عليه جماعة وانتفع بعلمه طائفة كثيرة. قال: ونشأ على سَمتّ أبيه وأخيه في الخير والعبادة وغلب عليه الاشتغال بالفقه والعلم.

سبط **ابن الجوزي**: قال: كان إماماً ولم يكن في زمانه بعد أخيه أبي عمر ونسيبو العماد_ أزهد وأروع منه، وكان كثير الحياء عزوفاً عن الدنيا وأهلها هينا ليناً متواضعاً محباً للمساكين حسن الأخلاق، جواداً سخياً من رآه كأنما رأى بعض الصحابة، وكأن النور يخرج من وجهه، كثير العبادة يقرأ كل يوم وليلة سبعاً من القرآن، ولا يصلي ركعتي السنة في الغالب إلا في بيته اتباعاً للسنة. وكان يحضر مجالسي دائماً في جامع دمشق وقاسيون. وشاهدت منه ومن أخيه ونسيبه العماد ما أنساني أهلي وأوطاني.

ابن النجار: قال: كان الشيخ موفق الدين شيخ الحنابلة بالجامع وكان ثقة حجة نبيلاً غزير الفضل، كامل العقل شديد التثبت، دائم السكوت حسن السَمتّ نزيهاً ورعاً عابداً على وجهه النور وعليه الوقار والهيبة ينتفع الرجل برؤيته قبل أن يسمع كلامه. صنف التصانيف المليحة في المذهب والخلاف وقصده التلاميذ والأصحاب وكان حسن المعرفة بالحديث وله يد في العربية.

الحافظ عمر بن الحاجب قال في معجمه: هو إمام الأئمة ومفتي الأمة، خصه الله بالفضل الوافر والعلم الكامل، قد أخذ بمجامع الحقائق النقلية والعقلية فأما الحديث فهو فيه سابق، وأما الفقه فلا يلحق فيه، أعرف الناس بالفتيا له مؤلفات غزيرة متواضع عند الخاصة والعامة، حسن الاعتقاد ذو أمانة وحلم ووقار، عامر المجلس بالفقهاء والمحدثين وأهل الخير، كثير العبادة والتهجد لم نر مثله.

أبو شامة قال: كان شيخ الحنابلة موفق الدين اماماً وعلماً من أعلام الدين في العلم والعمل. صنف كتباً حسناً في الفقه وكثير غيره كان إمام الجامع المظفري بعد موت أخيه أبي عمر، وكان يكرم الفقراء من الحنابلة الذين يذهبون معه من الجامع إلى بيته بعد العشاء.

ابن تيميه قال: ما دخل الشام بعد الأوزاعي أفقه من الشيخ الموفق.

"**قال الحافظُ الضياءُ:** كان تام القامة، أبيض مشرق الوجَه، أدعج العينيين، كأن النور يخرج من وجهه لحُسنه، واسع الجبين، طويل اللحية، قائم الأنف، مقرون الحاجبين، لطيف اليدين، نحيف الجسم، إلى أن قال: رأيت الإمام أحمد في النوم فقال: ما قصر صاحبكم في شرح "الخِرقي".

قال الحافظ الذهبي: سمعت أبا عمر بن الصلاح [المفتي] يقول: ما رأيت الموفق، وسمعت شيخنا أبا بكر بن غنيمة المفتي ببغداد يقولُ: ما أعرف أحداً في زماننا أدرك درجة َالاجتهاد إلا الموفق"[1].

---

[1] – الحافظ الذهبي، [748هـ – 1347م]، " **العبر في خَبَر منْ غَبرَ** "، مرجع سابق، ص 181.

حركة التأليف في عصره

عاش ابن قدامة في عصر مليء بالأحداث، وفي مرحلة هامة من تاريخنا الإسلامي، إذ عاصر الاحتلال الصليبي للأرض المقدسة والذي اضطره وأسرته إلى الهجرة من قريته جمّاعيل إلى دمشق ليستقر بهم المقام في حي الصالحية الذي بناه الفلسطينيين المهاجرين من فلسطين وخاصة من لواء نابلس. كما عايش فترة تحرير بيت المقدس وهزيمة الصليبيين على يد السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي سنة 583هـ/1187

ومن الملاحظات على مؤلفات الفلسطينيين في ذلك العصر:

أنها كانت بصورة عامة صغيرة، محدودة المدى الزمني والمكاني، وتركزت على المستوى التاريخي في السيرة النبوية وفضائل الصحابة ومناقب الخلفاء الراشدين.

ويبدو أن الاتجاه نحو هذا النوع من التأليف وبهذه الكيفية إنما كان يقصد به تثبيت المسألة الاجتماعية الملحة المطروحة آنذاك، وهي عروبة الأرض المقدسة وإسلاميتها. فكانت مثل تلك المصنفات الصغيرة مفيدة؛ لإنعاش الشعور الديني ونشر السلوك القويم والقضاء على بقايا مظاهر الابتذال التي أوجدها الاحتلال الصليبي. إضافة إلى مواجهة الدولة الفاطمية الذي كانت تصطبغ بالمذهبية.

وقد اشتغل الكثير من المؤرخين باختصار المؤلفات التاريخية الكبرى، وبوضع المصنفات الصغيرة بهدف تبسيطها وتيسير الحصول عليها.

كما كانت جهود المؤرخين الفلسطينيين بارزة في باب الأنساب. وكان اهتمام موفق الدين ابن قدامة منصباً على نسب القرشيين ونسب الصحابة من الأنصار[1]، كما برز بين علماء عصره فصنف العديد من المؤلفات.

مؤلفاته

تنوعت مؤلفات الشيخ الموفق بين الصغيرة والبسيطة كالاعتقاد ومناقب الصحابة وفضائل عاشوراء، وبين الموسوعية ككتاب المغني والذي هو أهم مصنفاته حيث كان في عشر مجلدات، وهو كتاب جليل جعل مؤلفه أحد الأعمدة الكبرى التي قام عليها الفقه الحنبلي. وهذا الكتاب "المغني" بالإضافة إلى كتاب مختصر الخرقي لعمر بن حسين الحنبلي من أهم كتب الحنابلة التي كانت تدرس في المسجد الأقصى وفي المدارس أيام الحكم المملوكي.

قال الحافظ بن رجب في طبقات الحنابلة: له التصانيف الكثيرة الحسنة في المذهب أصولا وفروعاً وفي الحديث، واللغة والرقائق. وتصانيف في أصول الدين في غاية الحسن أكثرها على طريقة المحدثين مشحونة بالأحاديث والآثار والأسانيد كما هي طريقة الإمام أحمد وأئمة الحديث ولم يكن يرى الخوض مع المتكلمين في دقائق الكلام ولو بالرد عليهم مثل الإمام أحمد والمتقدمين، وكان كثير المتابعة للمنقول في باب الأصول وغيره ولا يرى إطلاق ما لم يؤثر من العبارات، ويأمر بالإقرار والإمرار لما جاء في الكتاب والسنة من الصفات من غير تغيير ولا تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تأويل ولا تعطيل.

---

[1] – صالحة، محمد عيسى: "التاريخ والمؤرخون في فلسطين"، في: الموسوعة الفلسطينية–القسم الثاني/ الدراسات الخاصة، بيروت، هيئة الموسوعة الفلسطينية، ط 1، م 3، 1990، ص 320،322.

ومن تصانيفه

في أصول الدين:

1. البرهان في مسألة القرآن، جزء.
2. جواب مسألة وردت من صرخد في القرآن، جزء.
3. **الاعتقاد**، جزء. وهو هذا الكتاب الذي نقدمه.
4. مسألة العلو، جزءان.
5. ذم التأويل، جزء.
6. كتاب القدر، جزءان.
7. كتاب فضائل الصحابة، جزءان. ويعتقد أنه "منهاج القاصدين في فضل الخلفاء الراشدين": يتناول فيه فضل أمة محمد ﷺ وفضل الصحابة والخلفاء الراشدين.
8. رسالة إلى الشيخ فخر الدين بن تيمية في تخليد أهل البدع في النار.
9. مسألة في تحريم النظر في كتب أهل الكتاب.

في الحديث:

10. مختصر العلل للخلال، مجلد ضخم.
11. مشيخة شيوخه، جزء.
12. مشيخة أخرى، أجزاء كثيرة خرجها.

في الفقه:

13. **المغني**، عشرة مجلدات بخطه. ويعتبر من أهم مصنفاته في الفقه الحنبلي، قال محمد رشيد رضا: "وأراد أن يكون كتابه المغني في فقه المسلمين كافة، فهو يذكر أقوال علماء الصحابة والتابعين، وعلماء الأمصار المشهورين.. وإذا رجّح مذهب الحنابلة في كثير من المسائل فهو لا ينتقص غيرهم.. والمزية الأولى لكتاب المغني أنه لخص لنا مذاهب فقهاء المسلمين المجتهدين بأدلتها في أمهات الأحكام.. فأغنانا عن مراجعة كتب السنن والآثار لمعرفة أدلتها ومذاهب الصحابة".
14. الكافي، أربعة مجلدات.
15. المقنع، مجلد.
16. مختصر الهداية لأبي الخطاب، مجلد.
17. العمدة، مجلد صغير.
18. مناسك الحج.
19. ذم الوسواس، جزء. وقد طبعته مجلة الأزهر بعنوان: "ذم الوسوسة والموسوسين" وله من فتاوى كثيرة ورسائل شتى.

أصول الفقه:

20. روضة الناظر وجنة المناظر.

وله في اللغة والأنساب ونحو ذلك مثل:

21. فنعة الأريب في الغريب، مجلد صغير.

22. التبيين في أنساب القرشيين، مجلد: سرد فيه نسب الرسول مع ترجمة مختصرة لسيرته ﷺ، واعتمد الحساب الزمني لبعثته، وذكر أزواجه وأولاده ونسب القرشيين حسب قرابتهم من الرسول ﷺ. وقد أشار ابن قدامة على أنه رأى هذا المنهج صحيحاً فأخذ به.
23. الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار، مجلد: ويعتبر من أفضل ما جمع في أنساب الصحابة وتاريخهم. ويتضمن أخبار الأوس والخزرج وأحوال بني النجار. ولا يقتصر الكتاب على الأنساب، بل فيه شيء من التاريخ والأدب والحديث وطرف من أخبار الصحابة لتعرف منزلتهم من الإسلام وما خصهم به الله من مناصرة الرسول ﷺ وأسبقيتهم في الإسلام.

وله في الفضائل والزهد والرقائق ونحو ذلك مثل:

24. كتاب التوابيين من الأمم الماضية والإسلاميين، جزءان: أرّخ فيه لشخصيات متميزة من التوابين، ذكر فيه أخبارهم تشويقاً وترغيباً في أحوالهم والاقتداء بهم، وبدأه بذكر توبة الملائكة ثم الأنبياء وملوك الأمم الماضية ثم الأمم والآحاد ثم أصحاب النبي ﷺ وملوك الأمة في عصره وأخيراً التوابيين من سائر الناس.
25. فضائل عاشوراء، جزء.
26. فضائل العشر، جزء.

وقد انتفع بتصانيفه المسلمون وأهل مذهبه وانتشرت واشتهرت بحسن قصده وإخلاصه، سيما كتابه "**المغني**" فإنه عظيم النفع وكثر الثناء عليه به.

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: ما رأيت في كتب الإسلام في العلم مثل "المحلى" و"المجلى" لابن حزم، وكتاب "المغني" للشيخ موفق الدين بن قدامه – في جودتهما وتحقيق ما فيهما – أ هـ كلام ابن رجب في الطبقات.

تلاميذه

تفقه عليه خلق كثير منهم ابن أخيه الشيخ شمس الدين عبد الرحمن بن أبي عمر شارح "المقنع" وغيره، وسمع منه الحديث خلائق من الأئمة والحفاظ وغيرهم، وحَدّثَ ببغداد وغيرها، ولم يزل ناشراً للعلم مدة حياته.

وفاته

كانت وفاته يوم السبت يوم عيد الفطر سنة عشرين وستمائة 620هـ، بمنزله بدمشق، وصلى عليه من الغد، وحمل إلي سفح جبل قاسيون فدفن به، وكان له أولاد ذكور وإناث ماتوا كلهم في حياته ولم يعقب من أولاده سوى ولد يقال له عيسى، فإنه خلف ولدين صالحين وماتا وانقطع عقبه. وهو وإن انقطع من الأولاد فلم ينقطع أثره من العلم.

سيرته

وقد كتب سيرته في جزءين ابن أخته محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن السعدي المقدسي الجمّاعيلي، ضياء الدين الملقب بالحافظ الكبير (643هـ/1245م). وكذلك أفردها الذهبي.

ومن أثاره التي نرجو الله أن ينفع بها هذا الكتاب بعنوان: **"الاعتقاد"**.

راجياً من الله عز وجل أن يجنبنا الخلل والزلل والعلل في القول والحال والعمل. وأن يكفينا بِمَنّه وكرمه شرور الخلق وغرور النفس إنه سميع مجيب.

وصلى الله على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

غزة في: شعبان 1427هـ/ سبتمبر 2006م.

عبد المجيد لطفي العيلة

المركز الفلسطيني للتواصل الحضاري

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الكتاب

لشيخ الإسلام موفق الدين بن قدامة المقدسي

الحمد لله المحمود بكل لسان، المعبود في كل زمان، الذي لا يخلو عن علمه مكان، ولا يشغله شأن عن شأن، جل عن الأشباه والأنداد، وتنزه عن الصاحبة والأولاد، ونفذ حكمه في جميع العباد، لا تمثله العقول بالتفكير ولا تتوهمه القلوب بالتصوير:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11]

له الأسماء الحسنى، والصفات العلى:

﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى{5} لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى{6} وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى{7}﴾ [طه: 5-7]

أحاط بكل شئ علماً، وقهر كل مخلوق عزة وحكماً، ووسع كل شئ رحمة وعلماً:

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾ [طه: 110]

موصوف بما وصف به نفسه في كتابه العظيم، وعلى لسان نبيه الكريم وكل ما جاء في القرآن، أو صح عن المصطفى عليه الصلاة والسلام من صفات الرحمن، وجب الإيمان به وتلقيه بالتسليم والقبول، وترك التعرض له

بالرد والتأويل، والتشبيه والتمثيل، وما أشكل من ذلك وجب إثباته لفظاً وترك التعرض لمعناه، ونرد علمه إلى قائله، ونجعل عهدته على ناقله إتباعا لطريق الراسخين في العلم الذين أثنى الله عليهم في كتابه المبين بقوله سبحانه وتعالى:

﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾

[آل عمران: 7]

وقال في ذم مبتغي التأويل لمتشابه تنزيله:

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾

[آل عمران: 7]

فجعل ابتغاء التأويل علامة على الزيغ وقرنه بابتغاء الفتنة في الذم ثم حجبهم عما أملوه وقطع أطماعهم عما قصدوه، بقوله سبحانه:

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: 7]

قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ﷺ في قول النبي ﷺ: إن الله ينزل إلى سماء الدنيا _ وأن الله يُرى في القيامة.

وما أشبهه: هذه الأحاديث نؤمن بها ونصدق بها، لا كيف ولا معنى ولا نرد شيئاً منها ونعلم أن ما جاء به الرسول حق ولا نرد على رسول الله ﷺ ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه بلا حد ولا غاية:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11]

ونقول كما قال، ونصفه بما وصف به نفسه. لا نتعدى ذلك، ولا يبلغه وصف الواصفين، نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه، ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شُنّعتْ، ولا نتعدى القرآن والحديث، ولا نعلم كيف كنه[1] ذلك إلا بتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم وتثبيت القرآن.

قال الإمام محمد بن إدريس الشافعي ﷺ: "آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله". وعلى هذا درج السلف وأئمة الخلف ﷺ كلهم متفقون على الإقرار والإمرار والإثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله من غير تعرض لتأويله.

وقد أمرنا بالاقتفاء لآثارهم والاهتداء بمنارهم وحذرنا المحدثات[2]، وأخبرنا أنها من الضلالات.

فقال النبي ﷺ **"عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ[3] وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة"** [أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وقالوا حسن صحيح وابن ماجة والحاكم في المستدرك والتاريخ عن العرباض بن سارية بألفاظ مختلفة]

---

[1] – "كنه الشيء" حقيقته ونهايته.

[2] – "المنار" جمع منارة وهي العلامة تجعل بين الحدين ومنار الحرم أعلامه التي ضربها الخليل على أقطاره ونواحيه والميم زائدة ومنه حديث أبي هريرة "إن للإسلام صوى ومنارا" أي علامات وشرائع يعرف بها.

" والمحدثات " جمع محدثة بالفتح وهي: ما لم يكن معروفاً في كتاب ولا سنة ولا إجماع كذا في "النهاية".

[3] – النواجذ: هي آخر الأضراس

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: **(اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم)** وقال عمر بن عبد العزيز ﷺ كلاماً معناه: قف حيث وقف القوم فإنهم عن علم وقفوا، وببصر نافذ كُفوا، وإنهم على كشفها كانوا أقوى، وبالفضل لو كان فيها أحرى، فلئن قلتم حدث بعدهم. فما أحدثه إلا من خالف هديهم، ورغب عن سنتهم، ولقد وصفوا منه ما يشفي، وتكلموا منه بما يكفي، فما فوقهم محسر، وما دونهم مقصر، لقد قصر عنهم قوم فجفوا وتجاوزهم آخرون فغلوا، وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدي مستقيم.

وقال الإمام أبو عمرو الأوزاعي ﷺ: "عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول".

وقال محمد بن عبد الرحمن الأدرمي لرجل تكلم ببدعة ودعا الناس إليها: "هل علمها رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي أو لم يعلموها"

قال الرجل: لم يعلموها...

قال: فشئ لم يعلمه هؤلاء علمته أنت؟

قال الرجل: فإني أقول قد علموها..

قال: أفوسعهم أن لا يتكلموا به ولا يدعوا الناس إليه أم لم يسعهم؟

قال: بلى وسعهم..

قال: فشئ وسع رسول الله ﷺ وخلفاءه لا يسعك أنت؟! فانقطع الرجل.

فقال الخليفة_وكان حاضراً_: "لا وسَّع الله على من لم يَسَعْهُ ما وَسِعهُم".

وهكذا منَ لم يسعه ما وسع رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ والأئمة من بعدهم والراسخين في العلم من تلاوة آيات الصفات وقراءة أخبارها وإمرارها كما جاءت فلا وسع الله عليه.

فما جاء من **آيات الصفات** قول الله عز وجل:

﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: 27]

وقوله سبحانه:

﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: 64]

وقوله تعالى إخباراً عن عيسى عليه السلام أنه قال:

﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: 116]

وقوله سبحانه: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: 22]

وقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: 210]

وقوله: ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: 119]

وقوله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: 54]

وقوله في الكفار: ﴿غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: 6]

وقوله: ﴿اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ﴾ [محمد: 28]

وقوله: ﴿كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ﴾ [التوبة: 46]

ومن السنة قول النبي ﷺ:

"ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا[1]".

وقوله: **"يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة[2] ".**

وقوله: **"يضحك الله إلى رجلين قتل أحدهما الآخر ثم يدخلان الجنة[3]"**

فهذا وما أشبهه مما صح سنده وعدلت رواته نؤمن بـه ولا نـرده ولا نجحده، ولا نتأوله بتأويل يخالف ظاهره، ولا نشبهه بصفات المخلوقين، ولا بسمات[4] المحدثين، ونعلم أن الله سبحانه وتعالى لا شبيه له ولا نظير:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11]

وكل ما يُخَيَّل في الذهن أو خطر بالبال فإن الله تعالى بخلافه.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: 5]

وقوله: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: 16]

---

[1] – هذا حديث مختصر رواه بتمامه الإمام أحمد والبخاري باب التوحيد، ومسلم وأبو داود والترمذي وابـن ماجة وقد شرحه الإمام المجتهد علامة المعقول والمنقول شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس بن تيمية فـي جزء وطبع في الهند قديماً.

[2] – أي ميل الهوى. حديث يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة. أخرجه الإمام أحمـد والطبرانـي فـي الكبير عن عقبة بن عامر بلفظ أن الله تعالى ليعجب من الشاب ليست له صبوة.

[3] – الحديث رواه أحمد والبخاري ومسلم باب الإمارة، ومالك والنسائي وابن ماجة وابن حبان عـن أبـي هريرة مرفوعاً بلفظ " يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل ثم يتوب الله على القاتل فيسلم فيقاتل في سبيل الله فيستشهد" وهذا لفظ البخاري ورواه البيهقـي فـي الأسماء والصفات.أ هـ من حاشية الأصل.

[4] – أي هيات.

وقول النبي ﷺ: "**ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك**"[1].

وقال للجارية: "**أين الله؟**

قالت: في السماء،

قال: **اعتقها فإنها مؤمنة**" [رواه مالك بن أنس ومسلم وغيرهما من الأئمة]

وقال النبي ﷺ لحصين: **كم إلهاً تعبد؟**

قال: سبعة.. ستة في الأرض وواحد في السماء.

قال: "**من لرغبتك ورهبتك؟**"

قال: الذي في السماء.

قال: **فاترك الستة واعبد الذي في السماء، وأنا أعلمك دعوتين، فأسلم** وعلمه النبي ﷺ أن يقول: **اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي**"

[رواه البيهقي في الأسماء والصفات. وسنن الترمذي، الدعوات عن رسول الله]

وفيما نقل من علامات النبي ﷺ وأصحابه في الكتب المتقدمة:

أنهم يسجدون بالأرض ويزعمون أن إلههم في السماء.

وروى أبو داود في سننه أن النبي ﷺ قال: "**إن ما بين سماء إلى سماء مسيرة كذا وكذا .. وذكر الخبر إلى قوله: وفوق ذلك العرش والله سبحانه فوق ذلك**[2].

---

[1] – هذا الحديث مختصر من حديث طويل رواه الطبراني والحاكم والبيهقي ورواه أبو داود وفي إسناده زيادة بن محمد قال الحافظ الذهبي في كتاب "العلو": هو لين الحديث أي ضعيف أ هـ.

[2] – هذا حديث طويل ذكره أبو داود في سننه ص 76 طبعة حديثة وفيه بعد ذكر الأوعال "ثم على ظهورهم العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك" وفيه "إن عرشه على سماواته وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب وفيه أن الله فوق عرشه وعرشه على سماواته". قال أبو داود رحمه الله والحديث بإسناد أحمد بن سعيد هو الصحيح ووافقه عليه جماعة منهم يحيى بن

فهذا وما أشبهه مما أجمع السلف رحمهم الله على نقله وقبوله، ولم يتعرضوا لرده ولا تأويله ولا تشبيهه ولا تمثيله.

سئل مالك بن أنس (رحمه الله) فقيل يا أبا عبد الله:

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: 5] .. كيف استوى؟..

فقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، ثم أمر بالرجل فَأُخْرِجَ.

فصل

يُكلم من يشاء ويُسمع من يشاء

ومن صفات الله تعالى أنه متكلم بكلام قديم يسمعه منه من شاء من خلقه سمعه موسى عليه السلام منه من غير واسطة، وسمعه جبريل عليه السلام ومن أذن له من ملائكته ورسله، وأنه سبحانه يكلم المؤمنين في الآخرة ويكلمونه فيأذن لهم فيزورونه،

قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾ [النساء: 164]

وقال سبحانه: ﴿يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾ [الأعراف: 144]

معين وعلى بن المديني وقال محشي الأصل ورواه ابن ماجة وحسنه، ورواه الحافظ ضياء الدين المقدسي في المختارة ورواه بنحوه ابن منده في كتاب التوحيد والبيهقي في الأسماء والصفات من طريق أبي داود و"أطيط" الرحل صوته لقوة ما فوقه وعجزه عن احتماله أ هـ . [روى الحاكم في مستدركه عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه في قول الله عز وجل "ويحمل عرش ربك فوقهم ثمانية" أي أملاك على صورة الأوعال بين أظلافهم وركبهم مسيرة ثلاث وستين سنة أو خمس وستين سنة].

وقال سبحانه: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ﴾ [البقرة: 253].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: 51]

وقال سبحانه: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى{11} إِنِّي أَنَا رَبُّكَ {12}﴾ [طه: 11-12]

وقال: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه: 14]

وغير جائز أن يقول هذا أحدٌ غير الله.

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: **"إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء**، رُوِي ذلك عن النبي ﷺ[1].

وروى عبد الله بن أنس عن النبي ﷺ أنه قال: **"يحشر الله الخلائق يوم القيامة عراة حفاة غُرلاً[2] بُهْمَا فيناديهم – بصوت يسمعه من بُعْدٍ كما من قُرْبٍ: أنا الملك، أنا الديان"** [رواه الأئمة واستشهد به البخاري]

وفي بعض الآثار أن موسى عليه السلام ليلة رأى النار فهالته ففزع منها فناداه ربه (يا موسى) فأجاب سريعاً استئناساً بالصوت.

فقال: لبيك لبيك اسمع صوتك ولا أرى مكانك فأين أنت؟

فقال الله تعالى: أنا فوقك وأمامك وعن يمينك وعن شمالك.

---

[1] – أشار بهذا إلى ما رواه البيهقي في الأسماء والصفات عن عبد الله بن مسعود قال: "قال رسول الله ﷺ "إن الله عز وجل إذا تكلم بالوحي سمع أهل السماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل عليه السلام فإذا جاءهم جبريل فزع عن قلوبهم قال" فيقولون ياجبريل ماذا قال ربك؟ قال: "فيقول الحق قال فينادون الحق الحق" ورواه أبو داود أيضاً مرفوعاً.

[2] – غرلا: الغرل جمع الأغرل وهو الأقلف، والغرلة القلفة والبهم ليس معهم شئ وقيل أصحاء أ هـ من النهاية.

فَعَلِمَ أن هذه الصفة لا تنبغي إلا لله تعالى.

قال: كذلك أنت يا إلهي أفكلامك أسمع أم كلام رسولك؟

قال الله تعالى: بل كلامي.

فصل

القرآن كلام الله وكتابه المبين

ومن كلام الله سبحانه: القرآن العظيم، وهو كتاب الله المبين وحبله المتين وصراطه المستقيم، وتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين، على قلب سيد المرسلين بلسان عربي مبين منزل غير مخلوق منه بدا وإليه يعود، وهو سور محكمات وآيات بينات، وحروف وكلمات: من قرأه فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات، له أول وآخر وأجزاء وأبعاض متلو بالألسنة، محفوظ في الصدور مسموع بالآذان، مكتوب في المصاحف، فيه محكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ وخاص وعام وأمر ونهي.

﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: 42]

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا [1] ﴾ [الإسراء: 88]

وهو هذا الكتاب العربي الذي قال فيه الذين كفروا:

﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا الْقُرْآنِ ﴾ [سبأ: 31]

وقال بعضهم: ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾ [المدثر: 25]

---

[1] – الظهير: المعين.

فقال الله سبحانه: ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾ [المدثر: 26]

وقال بعضهم: هو شعر..

فقال الله:

﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴾ [يس: 69]

فلما نفى الله عنه أنه شعر وأثبته قرآنا لم يبق شبهة لذي لُب لأن القرآن هو هذا الكتاب العربي الذي هو كلمات وحروف وآيات لأن ما ليس كذلك لا يقول أحدٌ إنه شعر.

وقال عز وجل: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: 23]

ولا يجوز أن يتحداهم[1] بالإتيان بمثل ما لا يدري ما هو ولا يعقل.

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي ﴾[يونس: 15]

فأثبت أن القرآن هو الآيات التي تتلى عليهم.

وقال تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ [العنكبوت: 49]

وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ{77} فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ{78} لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ{79} ﴾ [الواقعة: 77-79]

---

[1] – "تحدي الناس بالشيء": مطالبتهم بإظهار ما عندهم في موضوعه.

بعد أن أقسم على ذلك، وقال تعالى: {كٓهيعٓصٓ ـ حٰمٓ – عٓسٓقٓ} وافتتح تسعا وعشرين سورة بالحروف المقطعة..

وقال النبي: ﷺ **"من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف منه عشر حسنات، ومن قرأه ولحن فيه فله بكل حرف حسنة"** [حديث صحيح]

وقال ﷺ: **"اقرأو القرآن قبل أن يأتي قوم يقيمون حروفه إقامة السهم لا يجاوز تراقيهم [1] يتعجلون أجره ولا يتأجلونه"**.

وقال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما: "إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه"..

وقال علي ﷺ: "من كفر بحرف منه فقد كفر به كله".

واتفق المسلمون على عدد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه ولا خلاف بين المسلمين في أن من جحد من القرآن سورة أو آية أو كلمة أو حرفاً متفقاً عليه أنه كافر، وفي هذا حجة قاطعة على أنه حروف.

---

[1] – "الترقوة": الحلقوم، وقوله: "يتعجلونه ولا يتأجلونه": أي يطلبون بقراءته العاجلة أي عرض الدنيا والرفعة فيها ولا يلتفتون إلى الأجر في الدار الآخرة وهذا من معجزاته ﷺ إذ هو إخبار عن غيب قبل مجيئه. قال في الحاشية: رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن منيع والبيهقي في سننه والضياء في المختارة عن جابر أ هـ.

وقال المناوي: وسكت عليه أبو داود فهو صالح.

فصل

رؤية المؤمنون لربهم في الآخرة

والمؤمنون يرون ربهم في الآخرة بأبصارهم ويزورونه ويكلمهم ويكلمونه، قال الله تعالى:

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: 22-23]

وقال تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين: 15]

فلما حجب أولئك في حال السخط دل على أن المؤمنين يرونه في حال الرضا، وإلا لم يكن بينهما فرق.

وقال النبي ﷺ: "**إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته**" [حديث صحيح متفق عليه، رواه البخاري في مواقيت الصلاة].

وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية لا للمرئي بالمرئي، فإن الله تعالى لا شبيه له ولا نظير..

فصل

الفعال لما يريد

ومن صفات الله تعالى أنه الفعال لما يريد، لا يكون شئ إلا بإرادته، ولا يخرج شئ عن تقديره، ولا يصدر إلا عن تدبيره، ولا محيد عن القدر المقدور ولا يتجاوز ما خط في اللوح المسطور، أراد ما العَالَم فاعلوه، ولو عصمهم لما خالفوه، ولو شاء أن يطيعوه جميعاً لأطاعوه، خلق الخلق

وأفعالهم، وقدر أرزاقهم وآجالهم، يهدي من يشاء برحمته، ويضل من يشاء بحكمته.. ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: 23]

قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: 49]

وقال تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً ﴾ [الفرقان: 2]

وقال تعالى:

﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾ [الحديد: 22]

وقال تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً ﴾[الأنعام: 125]

روى ابن عمر أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ: ما الإيمان؟

قال: **أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.**

فقال جبريل: صدقت.

وقال النبي ﷺ: **"آمنت بالقدر خيره وشره وحلوه ومره".**

[رواه البخاري في كتاب الإيمان]

ومن دعاء النبي ﷺ الذي علمه الحسن بن علي يدعو به في قنوت الوتر:

"وقني شر ما قضيت".

ولا تجعل قضاء الله وقدره حجة لنا في ترك أوامره واجتناب نواهيه، بل يجب أن نؤمن ونعلم أن لله الحجة علينا بإنزال الكتب وبعثة الرسل.

قال الله تعالى: ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [النساء: 165]

ونعلم أن الله سبحانه ما أمر ونهى إلا المستطيع للفعل والترك، وأنه لم يجبر أحداً على معصية، ولا اضطره إلى ترك طاعة، قال الله تعالى:

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: 286]

وقال الله تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: 16]

وقال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ﴾ [غافر: 17]

فدل على أن للعبد فعلاً وكسباً يجزي على حسنه بالثواب، وعلى سيئه بالعقاب، وهو واقع بقضاء الله وقدره...

فصل

الإيمان قول باللسان وعمل بالأركان وعقد بالجنان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان

والإيمان قول باللسان وعمل بالأركان وعقد بالجنان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة: 5]

فجعل عبادة الله تعالى وإخلاص القلب وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة كله من الدين.

وقال رسول الله ﷺ: "**الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها أن لا إلـــه إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**[1] ".

فجعل القول والعمل من الإيمان.

وقال تعالى: ﴿ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً ﴾ [آل عمران: 173]

وقال تعالى: ﴿ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً ﴾ [الفتح: 4]

وقال رسول الله ﷺ: "**يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفـــي قلبـــه مثقال برة أو خردلة أو ذرة من الإيمان**[2] ".. فجعله متفاضلا..

فصل

الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ

ويجب الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ وصح به النقل عنه فيما شهدناه أو غاب عنا نعلم أنه حق وصدق، وسواء في ذلك ما عقلناه وجهلناه، ولـــم نطلع على حقيقة معناه، مثل حديث الإسراء والمعراج. وكان يقظةً لا مناماً، فإن قريشا أنكرته وأكبرته، ولم تكن تنكر المنامات.

ومن ذلك أن ملك الموت لما جاء إلى موسى عليه السلام ليقبض روحه لطمه ففقأ عينه فرجع إلى ربه فرد عليه عينه.

---

[1] – رواه بألفاظ مختلفة الإمام أحمد في المسند ومسلم وأبو داود والحاكم وابن ماجة وابن حبان عـــن أبـــي هريرة ﷺ، ورواه الطبراني في الأوسط عن ابن سعيد.

[2] – رواه البخاري وغيره بألفاظ مختلفة.

ومن ذلك أشراط الساعة مثل: خروج الدجال ونزول عيسى بن مريم عليه السلام، فيقتله، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج الدابة، وطلوع الشمس من مغربها وأشباه ذلك مما صح به النقل.

وعذاب القبر ونعيمه حق، وقد استعاذ النبي ﷺ منه وأمر به في كل صلاة، وفتنة القبر حق، وسؤال منكر ونكير حق، والبعث بعد الموت حق، وذلك حين ينفخ إسرافيل عليه السلام في الصور:

﴿ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾[1] [يس: 51]

وَيُحشَرُ الناس يوم القيامة حُفاةً عُراةً غُرْلاً بُهماً، فيقفون في موقف يوم القيامة حتى يشفع فيهم نبينا محمد ﷺ، ويحاسبهم الله تبارك وتعالى وتنصب الموازين، وتنشر الدواوين، وتتطاير صحائف الأعمال إلى الأيمان وإلى الشمائل:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ {7} فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً {8} وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُوراً {9} وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ {10} فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً {11}[2] وَيَصْلَىٰ سَعِيراً {12}﴾ [الانشقاق: 7-12]

والميزان: له كفتان ولسان يوزن به أعمال العباد:

﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ [المؤمنون: 102]

---

[1] - "الأجداث": القبور، "وينسلون": أي يسرعون

[2] - "الثبور": الهلاك والفساد.

ولنبينا محمد ﷺ حوض في القيامة ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وأباريقه عدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً.

والصراط حق تجوزه الأبرار، ويزل عنه الفجار ويشفع نبينا ﷺ فيمن دخل النار من أمته من أهل الكبائر فيخرجون بشفاعته، بعدما احترقوا وصاروا فحماً وحمماً[1]، فيدخلون الجنة بشفاعته، ولسائر الأنبياء والملائكة شفاعات:

﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء: 28]

ولا تنفع الكافر شفاعة الشافعين. والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان.

فالجنة مأوى أوليائه، والنار عقاب لأعدائه، وأهل الجنة فيها مخلدون:

﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ {74} لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾.[2]

[الزخرف: 74- 75]

ويؤتى بالموت في صورة كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار ثم يقال:

"يا أهل الجنة خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت".

---

[1] – أي سودا.

[2]– أي محزنون من الألباس الحزن المعترض من شدة البأس ومنه اشتق إبليس فيما قيل.

فصل

محمد رسول الله ﷺ خاتم النبيين
وأمته خير الأمم

ومحمد رسول الله ﷺ خاتم النبيين وسيد المرسلين، لا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته، ويشهد بنبوته، ولا يقضى بين الناس في يوم القيامة إلا بشفاعته، ولا تدخل الجنة أمة إلا بعد دخول أمته، صاحب لواء الحمد، والمقام المحمود والحوض المورود، وهو إمام النبيين وخطيبهم، وصاحب شفاعتهم.

أمته خير الأمم، وأصحابه خير أصحاب الأنبياء عليهم السلام، وأفضل أمته أبو بكر الصديق، ثم عمر الفاروق ثم عثمان ذو النورين، ثم على المرتضى ﷺ لما روى عبد الله بن عمر ﷺ قال كنا نقول والنبي ﷺ حي: "**أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي**" فيبلغ ذلك النبي ﷺ فلا ينكره.

وصحت الرواية عن علي كرم الله وجهه أنه قال:

"خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ولو شئت سميت الثالث".

وروى أبو الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال: "**ما طلعت الشمس، ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على أفضل من أبي بكر**"

وهو أحق خلق الله بالخلافة بعد النبي ﷺ لفضله وسابقته وتقديم النبي ﷺ له في الصلاة على جميع الصحابة رضي الله عنهم.

وإجماع الصحابة على تقديمه ومبايعته ولم يكن الله ليجمعهم على ضلالة، ثم من بعده عمر ﷺ لفضله وعهد أبي بكر ﷺ إليه، ثم عثمان ﷺ لتقديم أهل الشورى له، ثم علي ﷺ لفضله وإجماع أهل عصره عليه وهؤلاء الخلفاء الراشدون المهديون الذين قال رسول الله ﷺ فيهم:

"عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ"[1]

وقال ﷺ: **"الخلافة من بعدي ثلاثون سنة"**. فكان آخرها خلافة علي ﷺ.

ونشهد للعشرة المبشرين بالجنة كما شهد لهم النبي ﷺ فقال: **"أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وسعد في الجنة وسعيد في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة"**. وكل من شهد له النبي ﷺ بالجنة شهدنا له بها، كقوله: **"الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة"**[2].. وقوله لثابت بن قيس: **"إنه من أهل الجنة"**[3].

---

[1] – (حديث عليكم بسنتي) أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وقالوا حسن صحيح وابن ماجة والحاكم في المستدرك والتاريخ عن العرباض بن سارية.

[2] – وأورد الإمام النووي في الأربعين والشاطبي في الاعتصام ج1 ص46،47 .عن أبي سعيد: " الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة" عن عمر وعلى وجابر وأبي هريرة وأسامة بن زبير والبراء وابن مسعود.

_ الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة إلا ابن الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا وفاطمة سيدة نساء أهل الجنة، إلا ما كان من حريم بنت عمران عن أبي سعيد.

_ الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما عن أبي عمر وابن مسعود ومالك بن الحويرث.

[3] – حديث: " أنه في الجنة لثابت بن قيس بن شماس بن زهير بن مالك بن امرىء القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج الأنصاري خطيب الأنصار بشره النبي ﷺ بالجنة في قصة شهيرة رواها موسى بن

ولا نجزم لأحد من أهل القبلة بجنة ولا نار إلا من جزم له الرسول ﷺ، لكنا نرجو للمحسن ونخاف على المسئ، ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ولا نُخرِجَه عن الإسلام بعمل ونرى الحج والجهاد ماضياً مع طاعة كل إمام براً كان أو فاجراً وصلاة الجمعة خلفهم جائزة.

قال أنس: قال النبي ﷺ: "**ثلاث من أصل الإيمان: الكف عمن قال لا إله إلا الله ولا نُكَفِّرُهُ بذنب ولا نُخرِجَه من الإسلام بعمل، والجهاد ماض منذ بعثني الله عز وجل حتى يقاتل آخر أمتي الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل، والإيمان بالأقدار**" [رواه أبو داود في كتاب الجهاد[1]]

أنس عن أبيه. أخرج أصل الحديث مسلم وفي الترمذي باسناد حسن عن أبي هريرة رفعه نعم الرجل ثابت بن قيس وفي البخاري مختصر والطبراني مطولاً عن أنس ورواه البغوي من وجه آخر عن عطاء الخرساني عن بنت ثابت بن تعس مطولاً.. " انظر الإصابة لابن حجر ص15/14 رقم900 نشر مكتبة الكليات – الازهر سنة 1969م بتحقيق الشيخ طه الزيني وانظر الاستيعاب لابن عبد البر هامش الإصابة ج2 ص72، 73، 74، 75، 76، 77، 78، رقم250.

[1] – ورواه ابن منيع والبيهقي والضياء المقدسي عن أنس.

فصل

أصحاب رسول الله ﷺ

ومن السنة تولي أصحاب رسول الله ﷺ ومحبتهم وذكر محاسنهم والترحم عليهم، والاستغفار لهم، والكف عن ذكر مساويهم؛ وما شجر بينهم[1] واعتقاد فضلهم ومعرفة سابقتهم.

قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [الحشر: 10]

وقال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: 29]

وقال النبي ﷺ: **"لا تسبوا أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه[2] ".**

---

[1] – يقال: "شجر بين القوم" أي اختلف الأمر بينهم وبابه "نصر ودخل".

[2] – رواه ابن ماجة عن أبي هريرة مرفوعاً وقال في الزوائد: إسناده صحيح، ومد بضم الميم: مكيال معلوم، والنصيف لغة في النصف وهو مكيال دون المد ومعناه أن للواحد من غيرهم لو أنفق في سبيل الله مثل جبل أحد ذهباً ما بلغ من الثواب ثواب ما أنفق من الصحابة مدا أو نصيفه وهذا الحديث مروى في الصحيحين أيضاً عن أبي سعيد الخدري.

فصل

أزواج رسول الله ﷺ

أمهات المؤمنين

ومن السنة الترضي عن أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين المطهرات المبرآت من كل سوء، أفضلهن خديجة بنت خويلد، وعائشة الصديقة بنت الصديق التي بَرَّأَهَا الله في كتابه، زوج النبي ﷺ في الدنيا والآخرة فمن قذفها بما برأها الله منه فقد كفر بالله العظيم ومعاوية خال المؤمنين وكاتب وحي الله وأحد خلفاء المسلمين ﷺ..

فصل

السمع والطاعة لأئمة المسلمين

ومن السنة السمع والطاعة لأئمة المسلمين برهم وفاجرهم ما لم يأمروا بمعصية الله، فإنه لا طاعة لأحد في معصية الله. ومن ولى الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به أو غلبهم بسيفه حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين وجبت طاعته وحرمت مخالفته والخروج عليه وشق عصا المسلمين..

فصل

في الفرق الإسلامية

ومن السنة هجران أهل البدع ومباينتهم وترك الجدال والخصومات في الدين، وترك النظر في الكتب المبتدعة والإصغاء إلى كلامهم، وكل محدثة في الدين بدعة، وكل متسمٍ بغير الإسلام والسنة مبتدع كالرافضة والجهمية والخوارج والقدرية والمرجئة والمعتزلة وَالْكَرَّامِيَّة والسَّالمة ونظائرهم[1]، فهذه فرق ضالة وطوائف البدع أعاذنا الله منها.

---

[1] – **الرافضة**: سماهم بهذا الاسم زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فقد أخرج ابن عساكر في تاريخه أن عيسى بن يونس سئل عن **الرافضة والزيدية**. فقال: أما **الرافضة** فأول ما ترفضت جاءت على زيد بن علي بن الحسين فقالوا له تبرأ من أبي بكر وعمر حتى نكون معك. فقال: بل أتولاهما وأبرأ ممن تبرأ منهما. قالوا: فإذا نرفضك فسميت الرافضة. قال: وأما **الزيدية** فقالوا: نتولاهما ونتبرأ ممن يتبرأ منهما فخرجوا مع زيد فسموا الزيدية.

الجهمية: طائفة لهم اجتهادات وتأويلات في مسائل عدة، كمسألة "الرؤيا في الآخرة" و"إثبات الصفات" ينسبون إلى جهم (بفتح فسكون) هو جهم بن صفوان من أهل الكوفة، وجهم من الجبرية الخالصة وبعض ما يقول: أنه لا يجوز أن يوصف الباري تعالى بصفة يوصف بها خلقه لأن ذلك يقتضي تشبيهاً فنفى كونه "حياً، عالماً" وأثبت كونه "قادراً فاعلاً خالقاً" لأنه لا يوصف شيء من خلقه بالقدرة والفعل والخلق.

والخوارج: كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين لهم بإحسان والأئمة في كل زمان.

والقدرية هم: المعتزلة لقبوا بالقدرية لإسنادهم أفعال العباد إلى قدرتهم وإنكارهم القدر فيها وهذا يقتضي إثبات خالق لأفعال العباد غير الله تعالى.

والمعتزلة: أصحاب وأصل بن عطاء الغزال، وسبب تسميتهم بذلك: أن رجلاً دخل على الحسن البصري فقال يا إمام الدين: ظهر في زماننا جماعة يكفرون صاحب الكبيرة ويقولون: "لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة" فكيف تحكم لنا أن نعتقد في ذلك؟ فتفكر الحسن وكان واصل في مجلسه وقبل أن يجيب الحسن قال واصل: "أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلق ولا كافر مطلق" ثم قام إلى

وأما النسبة إلى إمام في فروع الدين كالطوائف (المذاهب) الأربع فليس بمذموم فإن الاختلاف في الفروع رحمة والمختلفون فيه محمودون في اختلافهم مثابون في اجتهادهم، واختلافهم رحمة واسعة واتفاقهم حجة قاطعة[1].

اسطوانة من اسطوانات المسجد وأخذ يقرر على جماعة من أصحاب الحسن "إن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر ويثبت له المنزلة بين المنزلتين". فقال الحسن:

"قد اعتزل عنا واصل" فلذلك سمى وأصحابه معتزلة.

والكرامية أصحاب أبي عبد الله محمد بن كرام كان ممن يثبت الصفات إلا أنه ينتهي فيها إلى التجسيم والتشبيه.

والسالمة: أتباع رجل يقال له ابن سالم حكى في أول المواقف وشرحه أن ابن سالم كان يقول: إنه تعالى على صورة إنسان له يد ورجل وحواس خمس وأنف وأذن وعين وفم وله وفرة سوداء ونصفه الأعلى مجوف والأسفل مصمت إلا أنه ليس لحماً ولا دما.

[1] – **لقد ظهرت في الأمة الإسلامية العديد من الفرق، وقد نشأت لاجتهادات في تأويل النصوص، أصابت في بعضها وأخطأت في البعض الأخر. وكثير من هذه الفرق قد انقرضت في العصر الحاضر، ولكن إتباعاً للمنهج العلمي وحرصاً منا على الأمانة العلمية لم نشأ أن نحذف هذه الفقرة من هذا الكتاب لبعدها عن الواقع المعاش، ولاختلافنا مع المصنف في آرائه وموقفه من ذلك، وآثرنا نشر الكتاب كاملاً دون انتقاص لأيٍ من عباراته وإن اختلفنا معها.**

ولكن لايضاح وجهة نظرنا في هذا الموضوع فإننا ننقل هنا بعض ما ورد على لسان علماؤنا، وهو ما نتبناه:

– نقل عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال: لا أرد شهادة أحد من أهل الأهواء –البدع– إلا الخطابية فإنهم يعتقدون حل الكذب.

– وقال الإمام الغزالي رحمه الله بعد كلام عن المعتزلة والمشبهة والفرق المبتدعة في الدين، المخطئة في التأويل. أنهم في محل الاجتهاد:

"والذي ينبغي أن يميل المحصل إليه: " الاحتراز عن التكفير ما وجد إليه سبيلاً، فإن استباحة الدماء والأموال من المصلين إلى القبلة المصرحين بقول: لا إله إلا الله – خطأ.

"والخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم".

نسأل الله أن يعصمنا من البدع والفتنة ويحيينا على الإسلام والسنة ويجعلنا ممن يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحياة ويحشرنا في زمرته بعد الممات برحمته وفضله آمين.

وهذا آخر المعتقد والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً.

وقال صلى الله عليه وسلم: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فإذا قالوها فقد عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحقها".

– وقال أيضاً: "لم يثبت لنا أن الخطأ في التأويل موجب للتكفير، فلا بد من دليل عليه. وثبت لنا أن العصمة مستفادة من قول: "لا إله إلا الله" قطعاً، فلا يدفع ذلك بقاطع. وهذا القدر كاف في التنبيه على أن إسراف من بالغ في التكفير ليس عليه برهان. فإن البرهان إما أصل أو قياس على أصل. والأصل هو التكذيب الصريح، ومن ليس بمكذب فليس في معنى الكذب أصلاً. يتبقى تحت عموم العصمة بكلمة الشهادة".

– وقال النووي في شرح مسلم: "أعلم أن مذهب أهل الحق: أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب، ولا يكفر أهل الأهواء والبدع(الخوارج والمعتزلة والرافضة وغيرهم) وأن من جحد ما يعلم من دين الإسلام ضرورة حكم بردته وكفره، إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة، ونحوه ممن يخفى عليه فيعرف ذلك، فإن استمر حكم بكفره، وكذلك من استحل الزنا أو الخمر أو القتل أو غير ذلك من المحرمات التي يعلم تحريمها ضرورة". شرح مسلم جـ1 صـ150

ونقل السيد صديق حسن خان في "الروضة الندية" ما قاله العلامة الشوكاني في كتابه "السيل الجرار" قال: اعلم أن الحكم على الرجل المسلم، بخروجه من دين الإسلام، ودخوله في الكفر لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقدم عليه، إلا ببرهان أوضح من شمس النهار، فإنه قد ثبت في الأحاديث الصحيحة المروية عن طريق جماعة من الصحابة: "أن من قال لأخيه يا كافر، فقد باء بها أحدهما".

ونختم بما جاء على لسان المصنف نفسه في فصل: محمد رسول الله: "ولا نجزم لأحد من أهل القبلة بجنة ولا نار إلا من جزم له الرسول ﷺ، لكنا نرجو للمحسن ونخاف على المسئ، ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ولا نُخرِجَه عن الإسلام بعمل" أ.هـ. تعقيب المركز الفلسطيني للتواصل الحضاري.

فهرس

الموضوعات	الصفحة
بين يدي الكتاب	5
طبعات الكتاب	6
ترجمة المؤلف: شيخ الإسلام موفق الدين بن قدامة	8
خطبة الكتاب	25
فصل: يُكلم من يشاء ويُسمع من يشاء	32
فصل: القرآن كلام الله وكتابه المبين	34
فصل: رؤية المؤمنون لربهم في الآخرة	37
فصل: الفعال لما يريد	37
فصل: الإيمان قول باللسان وعمل بالأركان وعقد بالجنان	39
فصل: الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ	40
فصل: محمد رسول الله ﷺ خاتم النبيين	43
فصل: أصحاب رسول الله ﷺ	46
فصل: أزواج رسول الله ﷺ	47
فصل: السمع والطاعة لأئمة المسلمين	47
فصل: في الفرق الإسلامية	48

تم بحمد الله وتوفيقه في

شعبان 1427هـ - سبتمبر 2006م

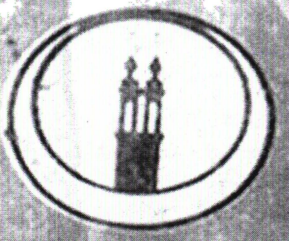

تراث موفق الدين بن قدامة (٢)

الاعتقاد

تصنيف

شيخ الإسلام موفق الدين أبي محمد عبد الله بن
أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي
" ٥٤١ - ٦٢٠ هـ "

أعده على الطبعة
محمد السيد أمين

قدم له
أحمد حسن جابر رجب

رئيس التحرير
د. أحمد على الخطيب

هدية
مجلة الأزهر المجانية
ربيع الآخر ١٤٠٧هـ